

1- مفهوم الإشكالية:

الإشكالية (Problématique) مصطلح فكري وفلسفي أساساً، استعاره الفيلسوف الفرنسي لويس ألتوسير (L. Althusser) من جاك مارتين (J. Martin)، للدلالة: "على مجموعة من الأفكار التي قد تختلف فيما بينها، ولكنها تشكّل وحدة فكرية أو نظرية تتيح للباحث أن يتناولها باعتبارها قضية مستقلة"¹.

وهي في قاموس (لاروس): "مجموعة أسئلة يحق لعلم ما - أو فلسفة معينة - أن يطرحها تبعاً لوسائله وموضوع دراسته ووجهات نظره"².

فالإشكالية هي: "القضية التي تجمع بين المتناقضات"³، وإنها: "علم طرح المسائل"⁴، بمعنى: "مجموعة المسائل التي يطرحها علم من العلوم في سياق أيديولوجي معين، أو هي تعبير عن كشف علمي كبير، أو عن قطيعة..."⁵.

ويرى جابر عصفور بأنها: "مصطلح أشاعه لوي ألتوسير يشير إلى العناصر البانية في مجال أيديولوجي لمواجهة مشكلات وتساؤلات يطرحها الزمن التاريخي على نحو يتكشف عن إطار داخلي لبنية توحد كل العناصر"⁶.

وعرّفها عبد السلام المسدي بأنها: "طبيعة المواضيع ذات الأحكام والقضايا التي يُحتمل صدقها ولكن يمسك الباسط لها عن إقرارها انطلاقاً، وشاع استعمال هذا المصطلح اليوم في النقد العام فأصبح يعني تطرح قضية جملية تتفرع إلى مسائل متعددة أو يتوزع طرقها على مناهج واختصاصات متغايرة ولذلك قال بعضهم: مشكّية أو مسألّية"⁷.

¹ - عناني محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، (د ط)، 1996، ص: 79.

² - وغليسي يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص: 49.

³ - المرجع نفسه، ص: 8.

⁴ - نفسه، ص: 50.

⁵ - نفسه، ص: 50.

⁶ - أدب كرزويل، عصر البنيوية - من ليفي شتراوس إلى فوكو - ترجمة: عصفور جابر، دار آفاق عربية، بغداد، (د ط)، 1985، ص: 284.

⁷ - المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 5، 2006، ص: 131، 132.

أما إبراهيم السامرائي لا يبتغي الحديث عن (الإشكالية) دون ردّها إلى جذورها اللغوية: "...إنّ (الإشكالية) مصدر صناعي أُقيم على مصدر آخر للفعل (أشكَل) وهو (إشكال)، وهذا المصدر الصناعي جديد في العربية المعاصرة، وقد شقي المعاصرون في الوصول إليه ليكون مؤدياً ما يؤديه مثله في اللغات الأعجمية، وهو غير كلمة (مشكلة)، بل إنّ (الإشكالية) شيئاً من المشكلة.

ويراد بها "ضرب من الوضع فيه إشكال وفيه وضع خاص، وإنك لا تجد هذه (الإشكالية) في العربية التي نعرفها قبل خمسين أو ثلاثين سنة، فهي جديدة"¹.

2- مفهوم المنهج لغة وإصطلاحاً:

المناهج جمع منهج، و"المنهج في اللغة يعني الطريق الواضح، ونَهَج الطريق، بمعنى أبانه وأوضحه، ونهجه بمعنى سلكه بوضوح واستبانة"².

والمنهاج: كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، (سورة المائدة، الآية: 48)، أي "طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه"³.

فالمنهج (Méthode) في اللغة هو الطريق الواضح المستقيم والبيّن والمستمر للوصول إلى الغرض المطلوب أو تحقيق الهدف المنشود، كما يعني كيفية أو طريقة فعل أو تعليم شيء معين وفقاً لبعض المبادئ بصورة مرتبة ومنسقة ومنظمة.

وأما في الاصطلاح فيقصد به: "الطريق الأقصر والأسلم للوصول إلى الهدف المنشود"⁴. أو هو: "مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدماً لعملية المعرفة التي سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها"⁵.

¹ - المرجع السابق، ص: 51.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 2، ط 1، 1990، ص: 447.

³ - السيوطي جلال الدين، المحلي جلال الدين، تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص: 116.

⁴ - بدوي عبد الرحمن، مناهج البحث العلمي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط 3، 1977، ص: 7.

⁵ - جيدير ماثيو، منهجية البحث، ترجمة: ملكة أبيض، (د ط)، (د ت)، ص: 72.

ويعرّفه علي جواد الطاهر قائلاً: "المنهج في أبسط تعريفاته وأشملها طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة".¹

أما حامد طاهر فيعرّفه بأنه: "مجموعة خطوات متتالية تؤدي بالباحث إلى هدف محدد، والهدف هو القانون الذي يفسر الظواهر تمهيدا للاستفادة منها".²

يتضح مما سبق بأن المنهج هو طريق ووسيلة، أو أسلوب أو قواعد أو خطوات على ضوءها يسير الباحث بعدا عن التخبط ووصولاً إلى أمثل النتائج لخدمة ذلك العلم الذي يبحث فيه خاصة والإنسانية عامة.

فالعلوم الإنسانية تختلف عن العلوم الطبيعية في طرائق البحث وأنواع التفكير، وكذلك العصور المتفاوتة علمياً تجعل مناهج الأبحاث تنطلق من نتائج و مسلمات ذلك العصر، كما أنّ العلوم الإنسانية تختلف أبحاثها باختلاف نزعات ومشارب وجنسيات الباحثين فيها.

3- مفهوم النقد لغة واصطلاحاً:

النقد في اللغة يعني التمييز، والنقد مصدر الفعل نَقَدَ، ونَقَدْتُ الدراهم وانتَقَدْتُها أخرجت منها الزَّيْفَ، ومنه التَّنْقَادُ والانتقاد، أي التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم والدنانير، ونَقَدْتُ رأسه بأصبعي، ونَقَدْتُ الجوزة أنقُدها إذا ضربتها، وعلى هذا يُفسَّر حديث أبي الدرداء أنه قال: "إِنْ نَقَدْتُ الناس نَقَدُوكَ، وإن تركتهم تركوك".³ معناه إن عبتهم واغبتبتهم قابلوك بمثله.

استعمل النقاد في القديم والحديث كلمة النقد على معنى التحليل والشرح والتمييز والحكم، "فالنقد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها، وأكثر الذين كتبوا في النقد العربي مشوا على هذا المعنى".⁴

¹ - الطاهر علي جواد، منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للنشر، ط3، 1979، ص: 19.

² - طاهر حامد، مناهج البحث بين التنظير والتطبيق، (د ط)، (د ت)، ص: 3.

³ - المصدر السابق، المجلد 3، ص: 521.

⁴ - الشايب أحمد، أصول النقد الأدبي، القاهرة، ط1، 1940، ص: 364.

ويُعرّف المحدثون النقد بأنه: "التقدير الصحيح لأي أثر فني وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه"¹، فكلمة النقد " تعني في مفهومها الدقيق الحكم، وهو مفهوم نلحظه في كل إستعمالات الكلمة حتى في أشدها عموماً"².

فللنقد مهمتان مختلفتان: مهمة التفسير، ومهمة الحكم، أي إصدار الأحكام الأدبية في قضايا الأدب ومشكلاته، والنقد ذو صلة وثيقة بالذوق، وليس هو مطلق الذوق، بل ذوق ذوي الثقافات الأدبية العالية.

أما في اللغات الأوروبية فإن كلمة (Critique) مشتقة من الفعل اللاتيني (Krinem) بمعنى "يفصل أو يميز"³، وحين يُميز الشيء عن شيء آخر في تلك اللغات فإن معنى هذا أن الباحث يؤكد وجود شيء يمكن تصنيفه مع نظيره من الأشياء التي لها صفات متشابهة معه بدرجة قليلة أو كثيرة.

4- مفهوم التأصيل:

التأصيل من "أصل الشيء، أي أعاده إلى أصله، وقد يكون المؤصل مألوفا ولكن أصله غير معروف"⁴، بمعنى أنه خاف على البعض فيقوم الباحث باستكشاف أصله، كالمفاهيم الشائعة المتصلة بأصول تراثية دون أن تكون تلك الأصول معروفة.

ولكن التأصيل "يكون أيضا لما يُستجد أو يطرأ على الثقافة من مفاهيم وغيرها، فيقوم مَنْ يبحث لتلك عن أصل، وفي الحالتين ينطلق الباحث من قناعة بأن قيمة الشيء وفاعليته في تاريخ الثقافة، سواء كانت أدبا أو نقدا أو غيرهما من المعارف، إنما تكون في (أصلية) الشيء، أي في إمكانية إعادته إلى أصل"⁵، وقد يرى البعض أن تلك القيمة لا تتوقف على تأصيله، ولكنها تزداد به.

ذلك المسعى التأصيلي هو ما اتسمت به الثقافة العربية في بدايات النهضة الحديثة، لاسيما عند احتكاكها بأوروبا وتوافد الكثير من مجالات المعرفة عليها بما تحمله تلك من علوم وأفكار ومفاهيم ومناهج في البحث والتفكير، فكان من الطبيعي أو التلقائي إزاء ذلك أن يقوم من يبحث لتلك

¹ - المرجع السابق، ص: 365.

² - خفاجي محمد عبد المنعم، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1995، ص: 10.

³ - حجازي سمير سعيد، قضايا النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 2007، ص: 23.

⁴ - الرويلي ميجان و البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2005، ص: 82.

⁵ - المرجع نفسه، ص: 82.

المجالات، وما تحمله عن أصول في الثقافة العربية الإسلامية في محاولة للحفاظ عليها وتقوية صمودها في وجه المستجدات.

وكانت اللغة أول ميادين البحث التأصيلي بمحاولة علمائها في المجامع وغيرها أن يجدوا الألفاظ المناسبة لما طرأ من معان وأفكار ومخترعات وما إليها، ومع الألفاظ اشتد البحث عن جذور لبعض الاكتشافات العلمية والتقنية الحديثة، الصفة التي يمكن إطلاقها على هذا النوع من التأصيل هو التوطين، وهو نوع يجاور أنواعاً أخرى نوردها مجملة ومفصلة اجتهاداً على النحو التالي:¹

أ- التأصيل التوطيني: وهو التأصيل الذي يسعى إلى توطين مستجدات الفكر والثقافة عموماً بالبحث لها عن موطن مناسب تُقيم فيه داخل البيئة المحلية التي تبدو منافية لها في البدء، كما هو الحال مع مفاهيم وتيارات كل الماركسية والبنوية، واللاوعي، والعولمة، والمعتمد، وما إلى ذلك من مئات أو آلاف المفاهيم والتيارات في مختلف الحقول.

ب- التأصيل التراثي: وهو النوع الذي يتجه في تحرك معاكس للتأصيل التوطيني، أي من الداخل إلى الخارج، والمقصود بهذا التحرك الأخير ربط موروثات الثقافة بما يُستجد عن طريق اكتشاف الصلة بين ما ورد ذكره من معتقدات أو مفاهيم وما استجد في ثقافة أخرى.

ومثال ذلك "سعي البعض إلى ربط ما ورد في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، أو في بعض الآثار الإسلامية ببعض مكتشفات العلم الحديث ونظرياته، أو كما في البحث عن جذور لمناهج نقدية كالبنوية أو الماركسية في التراث العربي الإسلامي"²، وقد يكون ذلك تأصيلاً بقدر ما هو إعادة للمكتشفات أو النظريات إلى أصول معروفة مسبقاً انطلاقاً من الأصول وليس من المستجدات، كما هو في التأصيل التوطيني.

ت- التأصيل التحيزي: ويعني السعي إلى اكتشاف أصول المفاهيم والتيارات والحقول المعرفية الأجنبية في سياقاتها الثقافية أو الحضارية الخاصة لإثبات تحيزها إلى تلك السياقات بصورها عنها وانسجامها مع ما في تلك السياقات من معطيات، بحيث يصعب فصلها عنها دون ممارسة نوع من التأصيل التوطيني أو العولمي.

وهذه الأنواع من التأصيل ليست منفصلة عن بعضها تمام الانفصال كما قد يظن البعض.

¹ - المرجع السابق، ص: 83.

² - الرويلي ميجان و البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، ص: 83.